يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأولئك هم المفلحون﴾، روى الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثمّ لتدعنّه فلا يستجيب لكم. ورواه الترمذي[1]، وروى مسلم عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان[2].

ويتحوّل السياق كي يبيِّن فعل كافري بني إسرائيل ضدّ نبّي الإسلام ودين الإسلام والمسلمين، وذلك في آيتين كريمتين. وهذه هي أولى الآيتين الكريمتين. قال تعالى: ﴿ترى كثيراً منهم يتولَّوْن الذين كفروا لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سَخِط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾.

وإنَّ هذه الآية الكريمة التي تشير إلى موالاة كافري بني إسرائيل كفّار مكّة ومن شاكلهم تذكّرنا بالآيات الكريمات من سورة النساء التي تشير إلى سؤال كفّار مكّة بني إسرائيل باعتبارهم أهل كتاب: أديننا خيرٌ ونحن نعبد الأوثان أم دين محمد الذي يدعو إلى التوحيد، والتي تنعى على بني إسرائيل كتمانهم الحقّ وكذبهم في الجواب وزعمهم أنَّ دين مشركي مكة خيرٌ من دين التوحيد الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ. لقد استحقَّ كافرو بني إسرائيل على هذا الكذب أن يلعنهم الله تعالى ويطردهم من رحمته. قال تعالى[3]: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٣).

(٣) سورة النساء: الآيتان ٥١، ٥٢.

يؤمنون بالجبت والطَّاغوت[1]، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. أولئك الذين لعنهم الله. ومن يلعنِ اللَّهُ فلن تجد له نصيرا﴾.

وإنَّ آية سورة المائدة تخاطب المصطفى ﷺ وتقول له عليه الصَّلاة والسَّلام ولكلِّ فردٍ من أفراد أمّته عليه الصَّلاة والسَّلام وراء ذلك: إنَّك ترى كثيراً من كافري بني إسرائيل يتولّون الذين كفروا ويتَّخذون منهم أولياء ونصراء ضد الإسلام والمسلمين. وهل تاريخ دولة إسرائيل الطّاغية الباغية إلاَّ تطبيقاً عمليّاً لمعنى هذه الآية الكريمة. أليست هذه الدولة الطّاغية الباغية هي الحصن الذي يأوي كل دعاة الضلالة من أعداء الإسلام والمسلمين. إنَّ كلّ هذه الحقائق تدخل تحت مظهرٍ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال الإنباء بالغيب.

وعلى غرار القول في الآية الكريمة السابقة: ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾، يجيء القول هنا: ﴿لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾، والمعنى: لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم وسوَّلت وزيَّنت وحسَّنت. وهذا الذي قدَّمته لهم أنفسهم وسوَّلت وزيَّنت وحسَّنت هو موجب سخط الله تعالى، وبذلك يكون المصدر المؤوَّل: أن سخط الله، في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، ويجوز أن يكون الذي قدَّمته أنفسهم وزيَّنته هو سخط الله تعالى، وبذلك يكون المصدر المؤوَّل: أن سخط الله، في محلّ رفع مبتدأ وهو المخصوص بالذمّ[2]، والسَّخَط والسُّخْط: الغضب الشَّديد المقتضي للعقوبة[3].

---

(١) الجبت: السّحر. والطّاغوت: الشيطان.

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه (٣/ ٣٥٣).

(٣) مفردات الرَّاغب الأصفهانيّ «سخط» (٢٢٧).

إنَّ كافري بني إسرائيل الذين استحقّوا أن يغضب الله تعالى عليهم غضباً شديداً في الأُولى استحقّوا أن يخلدوا في العذاب في الآخرة. والعياذ بالله.

والآية الكريمة التالية والأخيرة في القسم تبيِّن السّبب في اتّخاذ كافري بني إسرائيل الكافرين أولياء من دون المؤمنين. وهذا السَّبب هو فسق كثيرٍ منهم وخروجهم عن الصراط المستقيم لأنَّهم لم يؤمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالنّبيّ ﷺ إماماً، وبالقرآن الكريم دستوراً. قال تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون باللّه والنَّبِيِّ وما أُنْزِل إليه ما اتّخذوهم أولياء ولكنَّ كثيراً منهم فاسقون﴾.

إنَّ كثيراً من بني إسرائيل كافرون وفاسقون. إنَّ الدَّليل على كفرهم اتّخاذهم الكافرين أعداء الإسلام والمسلمين أولياء من دون المؤمنين. وإنَّ الدّليل على فسقهم بمعنى خروجهم عن الصراط المستقيم عدم إيمانهم بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبالنَّبيّ ﷺ رسولاً، وبالقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى إليه والذي بيَّنته السنَّة النّبويّة المطهّرة دستوراً.

● ● ●

# - ١٢ -

# أشد الناس عداوة للذين آمنوا
# وأقربهم مودة لهم
# وأمر للمؤمنين بالطريق الوسط
# وكفارة الأيمان

## الآيات ( ٨٢ - ٨٩ )

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

تحدَّثت آيات القسم السَّابق عن اليهود والنَّصارى وقرَّرت أنَّ غلاة النَّصارى في عيسى عليه السَّلام كافرون، وأنَّ كافري اليهود ملعونون، وأمرت كلًّا من اليهود والنَّصارى بأن يقيموا التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. وتبدأ أولى آيات هذا القسم التَّالي بالحديث عن اليهود والّذين أشركوا وعن النَّصارى وتقرّر أنَّ أشدّ النَّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا وأنَّ أقربهم مودَّةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى. إنَّ هذا

الفريق من النَّصارى منه قسيسون ورهبان ولا يستكبر عن الانقياد إلى الحقّ إذا ثبت له. وبما أنَّهم قد ثبت لهم بأنَّ محمد بن عبد الله ﷺ رسول ربّ العالمين، وأنَّ القرآن الكريم كلام ربّ العالمين فقد بادروا إلى اعتناق دين الإسلام وبذلك أصبحوا جزءاً لا يتجزّأ من أمّة خير الأنام محمد بن عبد الله عليه الصَّلاة والسَّلام. إنَّ هذا الفريق من النَّصارى وقد أسلم لله ربّ العالمين إذا سمع آي الذكر الحكيم فاضت عيون أفراده من الدَّمع بسبب ما عرفوا من الحقّ قائلين يا ربّنا لقد آمنّا بما أنزلت فاكتبنا مع الشَّاهدين من أمّة محمد بن عبد الله ﷺ. ويستمرّ الفريق قائلاً: وما الّذي يمنعنا من الإيمان بالله تعالى وبالقرآن الكريم الّذي نزل بالحقّ وأنزله الله تعالى بالحقّ ومن الطمع بأن يدخلنا ربّنا جنّات النَّعيم مع القوم الصَّالحين من أمّة محمد بن عبد الله ﷺ. فأثابهم الله بقولهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار بسبب إحسانهم وعاقب الكافرين بالخلود في نار الجحيم.

ولمّا كان من النَّصارى من اعتزل الدّنيا وانقطع للعبادة ولمّا كان بعض الصحابة فكّر في أن يفعل كهؤلاء فقد وجّههم القرآن الكريم الوجهة السّليمة. إنَّ السّياق ينهي الّذين آمنوا أن يحرّموا ما أحلّ الله تعالى أو أن يحلّوا ما حرَّم الله تعالى ويأمرهم باختيار الطّريق الوسط وبتقوى الله تعالى. أمّا الأيمان التي تعمّدوها فبما أنَّها تحول بينهم وبين البرّ فعليهم في حال الحنث الكفّارة. ويتجلّى في كفّارة اليمين فضل الله تعالى على عباده ورحمته جلّ وعلا بهم. إنَّ اليمين اللّغو لا كفّارة فيها. وإنَّ اليمين المقصودة فيها الكفارة التي تراعي مصلحة الآخرين من إطعامٍ لعشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، والتي تراعي كذلك مصلحة الحانث في يمينه لأنَّها من ناحيةٍ على التَّخيير، ولأنَّها من ناحيةٍ أخرى تكون في هيئة

صيام ثلاثة أيّام في حال عدم وجود الطّعام والكسوة والرّقبة. ويرشد السّياق الّذين آمنوا إلى وجوب حفظ الأيمان، بألاّ يحنثوا فيها، وإذا حنثوا أن يكفّروا، وإلى وجوب الشّكر لله تعالى على الهداية إلى معالم الدّين.

• • •

## الآية رقم (٨٢)

قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

إنَّ جملة: «لتجدنّ» هنا الواسعة المعنى العميقة الدلالة تذكّرنا بجملة: «لأجد» التي جاءت في الآية الكريمة من سورة يوسف عليه السَّلام على لسان يعقوب عليه السَّلام. قال تعالى[1]: ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون﴾، إنَّ جملة: وجد تستعمل في حقّ الوجود بإحدى الحواس الخمس أي في المحسوسات كما تستعمل في المعنويّات. إنَّ يعقوب عليه السَّلام في الشام يجد في المكان الّذي هو فيه من بيته ريح ابنه الحبيب يوسف عليه السَّلام في مصر. ويلاحظ أنَّ السّياق لا يكتفي بغير هذه الجملة التي تستعمل أساساً في المحسوسات، وبالتّالي لا يستعمل مثلاً جملة أشمّ وما شاكلها، كما يلاحظ أنَّ السّياق يستعمل لفظة ريح التي تستعمل في حقّ نوعٍ معين من الرّيح يتّسم بالانفراد وبالالتئام كي يحدث منه الأثر المطلوب كتسيير السّفن في حال الرّيح الطيّبة وكقصف السّفن وكسرها في حال الريح غير الطيّبة وكريح العذاب الواحدة

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٤.

الملتئمة الأجزاء. وهكذا لا يكتفي السّياق بغير لفظة ريح وبالتالي لا يستعمل مثلاً لفظة رائحة وما شاكلها. وبشأن الوجود يقول مثلاً الرّاغب الأصفهاني[1]: «الوجود أضرب: وجودٌ بإحدى الحواسّ الخمس نحو: وجدت زيداً، ووجدت طعمه، ووجدت صوته، ووجدت خشونته. ووجودٌ بقوّة الشهوة نحو: وجدت الشَّبَع. ووجودٌ بقوّة الغضب كوجود الحزن والسَّخَط. ووجودٌ بالعقل أو بواسطة العقل كمعرفة الله ومعرفة النبوّة. وما يُنْسَب إلى الله تعالى من الوجود فبمعنى العِلْم المجرَّد إذْ كان الله منزَّهاً عن الوصف بالجوارح والآلات نحو: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾.

وبشأن الوجود في القول: ﴿لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا﴾، من البيِّن أنَّ هذه العداوة الشّديدة للّذين آمنوا من قِبَل اليهود والّذين أشركوا، إنّما يتبيَّنها الّذين آمنوا، بأسبابها ومتعلّقاتها من أفعالٍ وأقوال، ومن نيّاتٍ خبيثة يدلّ عليها فلتات الألسنة ولحن القول وما إلى ذلك. وكلّ ذلك دليلٌ على أنَّ العداوة ليست شيئاً محسوساً ولكنَّها شيءٌ معنويّ يدلّ عليه كلٌّ من المحسوس والمعنويّ. وإنَّ الآية الكريمة بقصد لفت الانتباه إلى الدَّلائل الأكيدة على العداوة الشديدة تستعمل جملة: «لتجدنّ» التي لها القدرة على إظهار الشيء المعنويّ وهو شدّة العداوة في هيئة الشيء المحسوس، وبذلك تبدو شدّة العداوة ظهوراً ووضوحاً وشكلاً في هيئة الشيء المحسوس الّذي لا يمكن أن يخطئه أيّ مؤمنٍ لديه أدنى مُسْكةٍ من العقل، لدرجة أنَّ الحواس تكاد تبصر تلك العداوة، تلمسها وتتذوّق طعمها الذّميم الأليم. ويلاحظ أنَّ الآية الكريمة

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانيّ «وجد» (٥١٢).

تستعمل لفظة: «النّاس» الدّالّة على كلّ النّاس، مؤمنهم وكافرهم، كتابيّهم وغير كتابيّهم. إنّ مجيء لفظة: «النّاس» في الجزئيّة الكريمة وإنّ النصّ على شدّة عداوة كلٍّ من اليهود والّذين أشركوا للمؤمنين يذكّرنا كل ذلك بالآية الكريمة التي تُسَمَّى بآية الفَصْلِ[1]، من سورة الحجّ كما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما وغيره: الأديان ستّة. واحدٌ للرَّحمن وخمسةٌ للشَّيطان، وهذه الأديان السّتّة مذكورةٌ في آية الفصل في قوله تعالى[2]: ﴿إنَّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والصَّابئين والنَّصارى والمجوس والّذين أشركوا إنَّ الله يفصل بينهم يوم القيامة، إنَّ الله على كلّ شيءٍ شهيد﴾[3].

ولمّا كانت الآية الكريمة في جزئيّتها الثّانية: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودّةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى﴾، قد بيّنت قرب مودّة هذا الفريق من النَّصارى للّذين آمنوا فكأنَّ الناس غَيْرَ المؤمنين لهم ثلاثة مواقف من المؤمنين، شدّة عداوة من اليهود والّذين أشركوا، ويلحق المجوس ومن لفّ لفّهم من المشركين بالّذين أشركوا وقرب مودّة من الفريق من النَّصارى الّذي نصّت عليه الآية الكريمة، وعداوة تتوسَّط شدّة العداوة وقرب المودّة، وهذا الموقف مفهومٌ ضمناً.

وحينما ننظر إلى شدّة العداوة في القول: ﴿لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا﴾، نتبيَّن أنَّ العداوة الشديدة التي يتَّصف بها اليهود والمشركون في حقّ المؤمنين يتقدّم فيها اليهود على الّذين أشركوا لتقديم الآية الكريمة لليهود في الذّكر.

---

(١) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى لابن القيّم (١٢).

(٢) سورة الحج: الآية ١٧.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى (١٢).

وحينما نقارن بين القولين: ﴿أشدّ النّاس عداوة﴾، و: ﴿أقربهم مودّة﴾، نتبيّن أنّ شدّة العداوة موقفٌ يقتضي دخول العداوة وتجاوزها وأنّ قرب المودّة موقفٌ لا يقتضي الوصول إلى درجة المودّة فضلاً عن أن يقتضي دخول المودّة، وفي الوقت ذاته لا يمنع قرب المودّة دخول المودّة وكأنّ من النّصارى الّذين تتحدث عنهم الآية الكريمة مَنْ هم أقرب النّاس مودّةً للّذين آمنوا ومَنْ هُمْ قد وصلوا إلى درجة المودّة للمؤمنين. ويصحّ أن يكون هذا الفريق من النّصارى الّذي نصّت عليه الآية الكريمة متّصفاً بقرب المودّة وقتاً من الأوقات وبالمودّة في وقتٍ آخر. وكأنّنا الآن بشأن موقف النّاس من المؤمنين أمام حالة جديدة هي حالة المودّة، وكأنّ المواقف زادت موقفاً فأصبح أمامنا أربعة مواقف، شدّة العداوة، والعداوة، وقرب المودّة، والمودّة.

وإنّ هذه الملابسات تقتضينا الوقوف على ما قيل في سبب النّزول. عن سعيد بن جبير قال: بعث النّجاشيّ وفداً إلى النّبيّ ﷺ فقرأ عليهم النّبيّ ﷺ فأسلموا. قال: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا...﴾ إلى آخر الآية. قال: فرجعوا إلى النّجاشيّ فأخبروه. فأسلم النّجاشيّ فلم يزل مسلماً حتى مات. قال: فقال رسول الله ﷺ: إنّ أخاكم النّجاشيّ قد مات فصلّوا عليه، فصلّى عليه رسول الله ﷺ بالمدينة والنّجاشي[1]، ثَمَّ[2]، ويقال إنّ عدد الوفد الّذين بعثهم النّجاشي إلى النّبيّ ﷺ سبعون رجلاً، اثنان وستّون من الحبشة، وثمانية من أهل الشّام، ويقال بل إنّ عدد الوفد ثلاثون رجلاً من خيار

(١) ثَمَّ: اسمٌ يشار به إلى البعيد بمعنى هناك.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢)؛ وانظر أسباب النزول للنيسابوري (٢٣٥، ٢٣٦).

أصحاب النجاشي[1]، ويقال إنَّ رسول الله ﷺ قرأ عليهم سورة يس[2]، وقال آخرون: بل هذه صفة قومٍ كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلمّا بعث الله تعالى ذكره نبيّه محمداً ﷺ آمنوا به[3].

ممّا سبق يتبيَّن أنَّ الآية الكريمة نزلت في قومٍ من النَّصارى يصحّ أن يكونوا النَّجاشي ورجاله ويصحّ أن يكونوا غير هؤلاء من النَّصارى. وهؤلاء القوم يؤمنون بعيسى عليه السَّلام باعتبارهم نصارى أوَّل الأمر، ويؤمنون بمحمد بن عبد الله ﷺ آخر الأمر. وهؤلاء القوم أقرب النَّاس مودَّةً للّذين آمنوا باعتبار الأصل، وهم آخر الأمر جزءٌ لا يتجزّأ من خير أمّةٍ أخرجت للنَّاس، لأنهم آمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالقرآن الكريم دستوراً. وإنَّ هذا الفريق من النَّصارى الّذي اعتنق دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ والّذي لا يقبل جلّ وعلا ديناً سواه يوجد في كلّ زمانٍ ومكانٍ ولله الحمد والمنّة. لقد وُجد هذا الفريق في عهد المصطفى ﷺ ونزل فيه قرآنٌ كريم ووجد في كلّ العصور التالية. وممّا جاء في هذا الفريق الّذي أصبح من أمّة محمد بن عبد الله ﷺ قوله تعالى في سورة القصص[4]: ﴿الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يُتْلَى عليهم قالوا آمنّا به إنَّه الحقُّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين. أولئك يُؤْتَوْن أجْرَهُمْ مرَّتين بما صَبَروا ويدرءون بالحسنةِ السَّيِّئة وممّا رزقناهم يُنْفِقون. وإذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا

---

(١) انظر أسباب النزول (٢٣٥، ٢٣٦).

(٢) انظر أسباب النزول (٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) تفسير الطبري (٧/٣)؛ وانظر أسباب النزول (٢٣٤، ٢٣٥).

(٤) الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾.

ومن البيِّن أنّا فهمنا القول في الموضعين: «لتجدنّ» على أنَّه خطابٌ للمصطفى ﷺ أساساً، ولكلّ فردٍ من أفراد أمته عليه الصَّلاة والسَّلام تبعاً.

ومن الأدلّة على أنَّ الآية الكريمة تعني فئاتٍ من النَّصارى اعتنقت الإسلام أنَّ غير هذه الفئات من النَّصارى تشبه اليهود الأشدّ عداوةً للّذين آمنوا. إنَّ هؤلاء لا يرضيهم ــ لا أرضاهم الله تعالى ــ إلاَّ أن يرتدّ المسلمون ــ لا سمح الله ــ عن دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ. وهم يرتكبون في سبيل ذلك كل منكرٍ ومكروه، ويركبون كلّ خطأٍ وخطل. وإلى هؤلاء أشار قوله تعالى في سورة البقرة[1]: ﴿ولن تَرْضَى عنك اليهودُ ولا النَّصارى حتى تتّبع ملَّتهم﴾.

وتبيِّن الجزئية الكريمة الثالثة والأخيرة السَّببين اللّذين جعلا هذا الفريق من النَّصارى أقرب النَّاس مودةً للّذين آمنوا الّذين أصبح هذا الفريق جزءاً منهم. قال تعالى: ﴿ذلك بأنَّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنَّهم لا يستكبرون﴾.

ويلاحظ بشأن السّبب الأوَّل مجيء حرف الجرّ «مِنْ» وليس حرف الجرّ في: ﴿ذلك بأنَّ منهم قسّيسين ورهباناً﴾، ونستطيع أن نفهم أنَّ القسيسين والرّهبان من الكثرة وعظم الأثر في قومهم للدَّرجة التي صحَّ أن يقال إنَّهما ركنٌ ركين من قومهم وجزءٌ راسخ ولهما أبلغ الأثر في قومهما حسّاً ومعنى. إنَّ حرف الجرّ «في» لا يجيء هنا لأنَّه يدلّ على قلَّة العدد وضآلة الشأن.

---

(١) الآية ١٢٠.

والقسّيسون خطباؤهم وعلماؤهم واحدهم قسّيس وقَسّ[1] أيضاً. وقد يجمع على قسوس. والرّهبان جمع راهب وهو العابد مشتقٌّ من الرّهبة وهي الخوف كراكب وركبان وفارس وفرسان[2]، ولعلّنا لاحظنا من ترتيب الفريقين فضل العالم على العابد. وقد فضّل ربّ العزّة آدم عليه السّلام الّذي علّمه ربّه جلّ وعلا الأسماء على الملائكة العابدين فأمرهم عزّ وجلّ بالسّجود لآدم عليه السّلام سجود تكريمٍ وتعظيم على نحو ما جاء في سورة البقرة[3].

إنَّ هذا الفريق من النّصارى الباحث عن الحقيقة قد سخّر الله سبحانه وتعالى له فريقاً من القسّيسين والرّهبان الّذين أرشدوه إلى الحقيقة التي بادروا هم إلى اعتناقها وهي أنَّ الدّين الحقّ هو الدّين الّذي بعث الله تعالى به محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين. وإنَّ هذا الفريق من النّصارى الباحث عن الحقيقة لا يستكبر في نفسه ولا يستنكف عن اتّباع الحق إذا ثبت له. أما وقد تأكّد هذا الفريق من ثاقب نظرة علمائه وعبّاده الّذين بادروا إلى اعتناق دين الإسلام فقد بادر هو الآخر فأصبح مثل علمائه وعبّاده جزءاً لا يتجزّأ من خير أمّةٍ أخرجت للنّاس تؤمن بالله تعالى الواحد ربّاً وبالإسلام ديناً وبالقرآن الكريم دستوراً وبمحمد ﷺ رسولاً. وإنَّ الآية الكريمة التالية تؤكد تواضع القوم وتقدّم الدليل على ذلك، فإلى:

---

(١) القَسّ: بفتح القاف.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٦).

(٣) الآيات ٣٠ ـ ٣٤.

## الآية رقم (٨٣)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

الآية الكريمة واحدةٌ من آي الذّكر الحكيم في مجال الإنباء بالغيب. فمثلاً ما أكثر الّذين التقيت بهم شخصياً، وقد هداهم الله تعالى إلى اعتناق الإسلام بعد أن كانوا نصارى على جهة الخصوص والّذين هذه هي حالهم حين سماع القرآن. إن الأمثلة أكثر من أن يأتي عليها الحصر. والعجيب في أمر هذا الفريق الّذي اعتنق الإسلام أنَّ بعض أفراده كان متحمّساً حماساً منقطع النَّظير لنشر المسيحيَّة معتقداً أنَّها الدّين الحقّ. وحينما قيّض الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المستعدّين لقبول الدّين الحقّ من يبيِّن لهم حقيقة الإسلام ويشرح لهم تعاليمه بادروا إلى اعتناق الإسلام والدّخول في دين الله تعالى الّذي رضيه جلّ وعلا لعباده. ومن أعجب ما صادفت في هذا المضمار، مصداقاً للآية الكريمة، زوجان أستراليّان هداهما الله تعالى إلى الإسلام. لقد كان الزّوج قسّيساً والزّوجة راهبةً. وقد أرسلَتْهُما هيئةٌ منصّرة لتنصير المسلمين في أندونيسيا. وهنالك قيّض الله سبحانه وتعالى لهما عالماً من الدّعاة إلى الله تعالى بيَّن لهما تعاليم الإسلام فاعتنقاه. وإنَّ الحماس الّذي كانا يتمتَّعان به لنشر المسيحيَّة تحول بفضل الله تعالى أضعافاً مضاعفةً لنشر الإسلام. ولا أريد أن أذكر تفاصيل الأحاديث التي دارت بيني وبينهما في كلّ اللّقاءات الإسلامية التي التقيت بهما في أثنائها والمؤتمرات المنعقدة في قارَّة أستراليا، والأحاديث التي دارت معهما في منزلي بمكَّة المكرَّمة حرسها الله تعالى. وكذلك لا أريد أن أذكر البرهان الّذي تحقَّق بفضل الله تعالى وكان السّبب في اتّخاذ القرار الحاسم بترك النّصرانية

والدّخول في الإسلام حينما ابتهلت إلى الله تعالى الراهبة أن يهديها جلّ وعلا سواء السّبيل فأجابها عزّ وجلّ الّذي يجيب المضطرّ إذا دعاه. وأكتفي بالاستشهاد بقوله تعالى[1]: ﴿وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو﴾.

أما وقد هدى الله سبحانه وتعالى السّيِّد بَكْلِي وزوجه السّيّدة سَلْمَى إلى الإسلام فقد أصبحا بفضل الله تعالى من جنود الدّعوة الإسلامية في قارّة أستراليا للدّرجة التي أثارت الحماسة ولا زالت تثيرها في نفوس المسلمين في قارّة أستراليا وفي غيرها من الأماكن إعجاباً بهذه الأسرة المسلمة التي سخّرت من أجل نشر الإسلام كل ما آتاها الله تعالى إيّاه من صحّة ومال وعلم وفرط حماسة وحسن خلق. وممّا يجمل ذكره في هذا الصّدد أنّ الأسرة حينما زارتني في منزلي بمكّة المكرّمة وحان وقت الصّلاة واتّجهنا نحن الرّجال صوب المسجد المجاور أحسسنا بامرأةٍ محتشمة تسير وراءنا باتّجاه المسجد، ولم تكن تلك السّيِّدة الفاضلة سوى زوجة السّيِّد بَكْلي. وقد أفهمت الزّوج بأنّ صلاة المرأة في منزلها أفضل، وأشرت إلى حكمة الإسلام في ذلك، وكانت سعادة المرأة بالغةً بهذه الحكمة التي عزّزت ما استقرّ في أعماقها من تكريم الإسلام للمرأة وإحاطته لها بكلّ عوامل الصّون والطّهر.

وإذا تجاوزت الحديث الطويل عن السّيدة زوج السّيِّد بكلي التي أصبحت ــ بفضل الله تعالى ــ النّاطقة باسم المرأة المسلمة في المؤتمرات واللّقاءات الفكريّة في قارّة أستراليا رغم رعايتها لعددٍ من الأطفال بارك الله تعالى فيهم جميعاً فإنّي أودّ أن أتحدث بإيجاز عن عملٍ مجيدٍ واحدٍ بالذّات

---

(١) سورة المدّثّر: الآية ٣١.

في مجال الحفاظ على كيان الأمّة المسلمة في قارّة أستراليا. بما أنَّ للزَّوجين المسلمين أطفالاً وبما أن للمسلمين في مدينة سدني التي يسكن فيها الزوجان أطفالاً، وبما أنَّ تيّار الحياة الماديَّة العَلْمانية في قارّة أستراليا عنيفٌ وجارف وتصعب مقاومة الأفراد له فقد قرَّر الزوجان فتح دار حضانة ومدرسة ابتدائيَّة لإنقاذ أبناء الإسلام وبناته على حدّ تعبير الزَّوجين الفاضلين لي. وإنَّ من معجزات دين الإسلام الّذي أكمله الله تعالى ورضيه لنا وأتمَّ به النِّعمة علينا أنَّك أخي المسلم ــ وأختي المسلمة ــ تخرج من باب أكبر مساجد مدينة سدني ــ مدينة سدني أكبر مدن قارّة أستراليا ــ وهو مسجد الإمام عليّ بحيّ لاكِمْبا كي تجد بجوار هذا المسجد مدرسة النّور التي أسَّسها بشقّ الأنفس هذان المسلمان الغيوران على الإسلام، تلك المدرسة التي جاهدا حقّ الجهاد في سبيل إيجادها في قارَّة أستراليا على غير مثالٍ سابق من أجل إنقاذ بنات الإسلام وأبنائه من تيّار الماديَّة العَلْمانية الجارف في قارَّة أستراليا.

ولا يتَّسع المقام للحديث عن الكثير من النَّماذج التي هداها الله تعالى وشرح صدرها لاعتناق دين الإسلام الحقّ وبذلت في سبيله كلّ رخيصٍ وغال. وأودّ أن أعود إلى نقطة الابتداء وهي فيض أعين هؤلاء الّذين هداهم الله تعالى للإسلام من الدَّمع لسماعهم آي الذّكر الحكيم التي أنزلها الله تعالى إلى رسوله الحبيب محمد بن عبد الله ﷺ. إنَّ العين تفيض من الدَّمع بعد أن تمتلىء به. وما أكثر الّذين تحادثت معهم من الّذين تتحقّق فيهم هذه الصفة مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال الإنباء بالغيب. إنَّ من هؤلاء من تفيض أعينهم من الدّمع لسماع جزءٍ من آيةٍ كريمة واحدة. فإذا طلبت منه أن يقرأ ما تيسَّر من القرآن الكريم

لا يستطيع أن يكمل آيةً واحدةً دون أن يجهش بالبكاء. إي والله الّذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت هذا بعيني رأسي. وما أكثر هؤلاء الّذين يقولون إنَّ عُمُرَهُمْ بضعة أعوام بينما هم متقدّمون في السّنّ، ويزول عجبك ويزيد إكبارك لهم حينما يفصحون لك بأنَّ عمرهم الحقيقيّ يبدأ بيوم اعتناقهم الإسلام!

إنَّ الآية الكريمة تقرّر أنَّ هؤلاء الّذين ذاقوا حلاوة الإسلام إذا سمعوا ما أُنْزل إلى الرسول الكريم من آي الذّكر الحكيم ترى أيّها الرسول الكريم والنَّبيّ العظيم، وترى أيّها المخاطب، بأمّ عينيك، أعين هؤلاء الّذين شرح الله تعالى صدورهم للإسلام وقد امتلأت بالدّمع وفاضت به ممّا عرفت نفوسهم وأيقنت من الحقّ الّذي نزل به القرآن الكريم.

وانظر إلى براعة الفصل في القول: ﴿يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين﴾، ممّا هو دليلٌ على التّزامن بين معرفة الحقّ وفيض الأعين بالدّمع والانفجار بالقول يا ربّنا ومولانا، يا من ربّيتنا بنعمك وآلائك، لقد آمنّا بك وبرسولك وبكتابك العزيز فاجعلنا يا سيّدنا ويا مولانا مع الشّاهدين بذلك من أمّة محمد بن عبد الله ﷺ، عن ابن عباس في قوله: اكتبنا مع الشّاهدين قال: أمّة محمد ﷺ[1].

ولعلّنا لاحظنا الجديد من المعنى في القول: ﴿فاكتبنا مع الشّاهدين﴾، إنّهم يضيفون الشّهادة إلى الاعتراف. عن ابن عبّاس في قوله: فاكتبنا مع الشّاهدين، قال: محمد ﷺ وأمّته أنّهم شهدوا أنّه قد بلّغ وشهدوا أنَّ الرّسل قد بلّغت[2].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥).

وسواءٌ أنكر على هؤلاء الدَّاخلين في دين الله أفواجاً منكرٌ أم لم ينكر فإنَّهم يجيء على لسانهم:

## الآية رقم (٨٤)

قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

إنَّ هؤلاء الّذين هداهم الله تعالى فشرح صدورهم للإسلام يسألون في حال الاعتراض عليهم وفي حال عدم الاعتراض: وما الّذي يمنعنا من أن نؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الفرد الصَّمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؟ وما الّذي يمنعنا من أن نؤمن بالّذي جاءنا من الحقّ من ربّنا عزّ وجل وهو القرآن الكريم الّذي أوحاه الله تعالى إلى خاتم النَّبيّين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ؟ وما الّذي يمنعنا من أن نطمع في أن يدخلنا ربّنا جلّ وعلا، بعد أن نلحق بالرَّفيق الأعلى، مع القوم الصَّالحين محمد بن عبد الله ﷺ وأمّته؟[1]، والجواب على هذه الأسئلة الثلاثة معروفٌ بطبيعة الحال. إنَّه لا شيء يمنع المؤمنين من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل إنَّ الإيمان هو المطلوب وهو الواجب المتقدّم والمفضّل على كلّ مطلوبٍ وواجب.

أما وقد صدق هؤلاء المؤمنون النيَّة والقول والفعل، وكان كلّ ذلك موافقاً للشَّرع ومراداً به وجه الله تعالى فقد أثابهم الله تعالى بسبب ما قالوا جنّات النَّعيم وإلى ذلك أشارت:

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥).

## الآية رقم (٨٥)

قال تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أثاب أولئك المؤمنين الصادقين، بعد أن غادروا دار الفناء إلى دار البقاء، جنّاتٍ تجري من تحتها مختلف أنواع الأنهار، وهم خالدون فيها ولا يبغون عنها حِوَلا. إنَّ في الجنَّة من النَّعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر. وفي الجزئيَّة الأخيرة: ﴿وذلك جزاء المحسنين﴾، تضيف الآية الكريمة الجديد وتقرّر أنَّ أولئك المؤمنين المتّقين قد بلغوا مرتبة الإحسان، أرفع الدَّرجات التي يصحّ أن يرقى إليها مسلم، والتي يصحّ أن يعبّر عنها بالتَّقوى. إنَّ الإحسان كما بيَّنه الحديث النَّبويّ الشريف ركنٌ واحد، وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

وعلى عادة القرآن الكريم المتشابه المثاني الّذي يتمّ فيه الحديث عن المعنى وشبيهه وعن المعنى وضدّه يتمّ الحديث في الآية الكريمة التَّالية عن عذاب الكافرين إثر الحديث عن ثواب المؤمنين، فإلى:

## الآية رقم (٨٦)

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾.

إنَّ الّذين كفروا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبدين الإسلام وكذّبوا بآيات الله تعالى البيّنات، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، أولئك أصحاب الجحيم وأهل السعير وسكّان ما اشتدّ حرّه من النَّار[1]

---

(١) تفسير الطبري (٧/٦).

ولمّا كان بعض النَّصارى الّذين تحدّثت عنهم الآيات الكريمات، وبخاصَّة القسّيسون والرّهبان ومن إليهم، قد حرّموا على أنفسهم الكثير من الطيّبات والمستلذّات من طعامٍ وشرابٍ ونساء، وحبسوا نفوسهم في صوامع للعبادة، أو ساحوا في أرض الله تعالى الواسعة، ولمّا كان بعض المسلمين قد رغب في محاكاة هؤلاء وكان الإسلام ديناً ودنيا فقد نهت أولى الآيتين الكريمتين التّاليتين عن الاعتداء بتحريم الطّيبات وإحلال الحرام ودعت الآية الكريمة الأخرى إلى سلوك الطريق الوسط وهاتان هما:

## الآيتان رقم (٨٧، ٨٨)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

من المعروف أنَّ الأصل في الأشياء الحِلّ وأنَّ ما حرَّم الله تعالى علينا قليلٌ حقّاً بالقياس إلى الحلال الكثير. ومن أقرب ما يحضرنا في هذه المناسبة الآياتُ الأُوَل من هذه السورة الكريمة. لقد تضمَّنت هذه الآيات الكريمات، وبخاصَّةٍ الآية الكريمة الثالثة من السورة، بعض ما حرَّم الله تعالى علينا أكله وفعله. ومن أقرب ما يحضرنا كذلك هذه الآية الكريمة من سورة الأنعام[1]، قال تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرَّماً على طاعمٍ يطعَمُهُ إلاَّ أن يكون مَيْتَةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزيرٍ فإنَّه رجسٌ أو فسقاً أُهلّ لغير الله به. فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فإنَّ ربّك غفورٌ رحيم﴾، ومن أقرب ما يحضرنا في هذا الشّأن كذلك آيات الحكمة من

(١) الآية ١٤٥.

سورة الإسراء[1]، وإنَّ أحكام هذه الآيات الكريمات وكذلك الآيات الكريمات في معناها من سورة الأنعام[2]، غير قابلةٍ للنّسخ في سائر الشرائع.

ممّا سبق يتبيَّن أن الحلال والحرام في الإسلام إنَّما يعرفان عن طريق المصطفى ﷺ الّذي يوحي الله تعالى إليه ذلك في القرآن الكريم وفي السنَّة النبويّة المطهّرة. لقد جاء في نعت المصطفى ﷺ أنَّه يحلّ للمؤمنين الطّيّبات ويحرم عليهم الخبائث وذلك في قوله عزّ من قائل في صفة مؤمني أهل الكتاب في سورة الأعراف[3]: ﴿الّذين يتّبعون الرسول النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطّيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم[4]، والأغلال التي كانت عليهم. فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾، وقد جاء في سورة الأعراف[5] كذلك قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجدٍ وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفُوا. إنَّه لا يحبّ المسرفين. قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق. قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة. كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يعلمون. قل إنَّما حرَّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

---

(١) الآيات ٢٢ ــ ٣٩.

(٢) الآيات ١٥١ ــ ١٥٣.

(٣) الآية ١٥٧.

(٤) إصرهم: ثِقْلهم.

(٥) الآيات ٣١ ــ ٣٣.

وبما أنَّ لله وحده لا شريك له الخلق والأمر، فإنَّ واجب العباد أن يمتثلوا لأوامر الله تعالى في الحلال والحرام. جاء في الآية الكريمة الأولى التي نحن بصددها من سورة المائدة، القول: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا﴾، إنَّ الله سبحانه وتعالى حينما يحلّ لعباده الطيّبات فما معنى تحريم العباد ما أحلّ الله تعالى؟ معناه الاعتداء على الله تعالى بتحريم ما أحل الله تعالى. وإن الله سبحانه وتعالى حينما يحرّم على عباده الخبائث فما معنى ارتكاب ما نهى الله تعالى عن ارتكابه أو إحلال ما حرَّم الله تعالى؟ معناه الاعتداء على الله تعالى بإحلال ما حرَّم الله تعالى. إنَّ الاعتداء المفهوم ضمناً بشأن تحريم ما أحلّ الله تعالى والمنطوق صراحةً بشأن إحلال ما حرَّم الله تعالى قد أكَّدته الجزئية الكريمة الأخيرة: ﴿إنَّ الله لا يحبّ المعتدين﴾.

والحقيقة أنَّ طول النَّهي عن تحريم طيّبات ما أحلّ الله تعالى وقصر النَّهي عن الاعتداء في الآية الكريمة مغرٍ بإطالة التَّأمّل وبالمقارنة بين أبعاد التَّعبيرين. ويصحّ أن يتمّ ذلك على النَّحو الآتي في هيئة نقاط:

١ ـ إنَّ النَّهي عن تحريم الحلال يأتي في هذا القول الّذي يميل إلى الطّول: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم﴾، وإنَّ النَّهي عن الاعتداء بتجاوز الحلال إلى الحرام يجيء في هذا القول الّذي يميل إلى القصر: ﴿ولا تعتدوا﴾، والمعنى: ويا أيها الّذين آمنوا لا تعتدوا.

٢ ـ يجيء في النَّهي عن تحريم الحلال النَّص على الطّيّبات. والمراد بالطّيّبات المستساغات المستلذّات غير الخبيثات وغير المحرّمات.

وبذلك لا يكتفي الحديث بتقرير النَّهي عن تحريم ما أحلّ الله تعالى، إنَّما يبيِّن الحكمة من إحلال الله تعالى تلك الأشياء وهي كونها طيِّبةً غير خبيثة. وكأنَّ الحديث هنا يتمشَّى مع ما جاء في آية سورة الأعراف[1]: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيِّبات من الرّزق﴾.

٣ ـ إنَّ الله تعالى قد أحلّ الطيِّبات لنا وحرَّم الخبائث علينا. فما معنى تحريم العباد الطيِّبات التي أحلَّها الله تعالى؟ معنى ذلك إخراجها من دائرة الطّيّبات إلى دائرة الخبائث. وهنا يقال للسُّفهاء ويُلْقَى عليهم هذا السّؤال من القرآن الكريم[2]: ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾؟

٤ ـ تصف الآية الكريمة الّذين تنهاهم عن تحريم ما أحل الله تعالى بأنَّهم مؤمنون: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا﴾، وذلك معناه أنَّ الّذين يحرّمون ما أحل الله تعالى من الطّيّبات لا يحرّمون ما أحل الله تعالى محادّين الله تعالى ورسوله وإلاَّ كانوا كافرين وغير مؤمنين، إنَّما يحرّمون ما أحلّ الله تعالى من الطّيّبات بباعث الغفلة والحمق والسّفه والجهل بحقيقة الأقدار.

٥ ـ أليس تجاوز هؤلاء المؤمنين أقدارهم بتحريم ما أحل الله تعالى هو عين الاعتداء؟ بلى هو عين الاعتداء. وبهذا تكون الجزئيّة الكريمة الأخيرة: ﴿إن الله لا يحبّ المعتدين﴾ شاملةً لهؤلاء المؤمنين الّذين يحرّمون الطيِّبات التي أحلّ الله تعالى وللمعتدين.

---

(١) الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

٦ – يجيء في نهي المؤمنين عن الاعتداء إلى الحرام بارتكابه القول: ﴿ولا تعتدوا﴾، وينبغي أن يكون المؤمنون الّذين يرتكبون المحرّمات على علم بأنّهم معتدون ومتجاوزون الحلال إلى الحرام، لأنَّ من اعتقد أنَّ ما حرَّم الله تعالى حلالٌ فقد كفر. ومن هنا تبدو خطورة مغامرة بعض المنتسبين إلى الإسلام حينما يزعمون مثلاً أنَّ الخمر ليست حراماً لأن الله تعالى لم يحرّمها بصريح اللفظ إنَّما قال تعالى[1]: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلَّكم تفلحون﴾، فثمَّة أمرٌ بالاجتناب والاجتناب غير التَّحريم، ونسي هؤلاء الّذين أعمى الله تعالى بصائرهم أنَّ ربّ العزَّة أمر من محكم كتابه باجتناب الرّجس من الأوثان دليلاً على أنَّ الأمر بالاجتناب يعني أقوى درجات التَّحريم وذلك في قوله تعالى من سورة الحجّ[2]: ﴿ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربّه. وأحلّت لكم الأنعام إلاَّ ما يُتْلَى عليكم فاجتنبوا الرِّجْسَ من الأوثان واجتنبوا قول الزّور. حنفاء لله غَيْرَ مشركين به. ومَنْ يُشْرِك بالله فكأنَّما خرّ من السماء فَتَخْطَفُهُ الطّير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحِيق﴾.

وما الّذي يبقى بعد نهي الله تعالى المؤمنين عن الإفراط والتَّفريط؟ يبقى المنهج الوسط وقد قال تعالى[3]: ﴿وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداءَ على النَّاس ويكونَ الرّسولُ عليكم شهيداً﴾، وإلى هذه

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٢) الآية ٣٠، ٣١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

الوسطيّة أشارت الآية الكريمة التالية: ﴿وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً. واتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾.

تأمر الآية الكريمة الّذين آمنوا أمر إباحةٍ أن يأكلوا ممّا رزقهم الله تعالى حلالاً طيّباً. والحلال غير الحرام وبذلك يتعلّق لفظ: «حلالاً» بالقول في الآية الكريمة السابقة: ﴿ولا تعتدوا﴾، فعلى الّذين آمنوا أن يظلّوا في دائرة الحلال وألاّ يتجاوزوه إلى الحرام. كما يتعلّق لفظ: «طيّباً» بالقول في الآية الكريمة السابقة: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحل الله لكم﴾، فعلى الّذين آمنوا أن يظلّوا في دائرة الطّيّب وألاّ يجعلوا الرّزق الّذي وصفه الله تعالى بأنّه طيّب وألاّ يحوّلوه خبيثاً بأهوائهم وبغير علم. وهكذا يتبيّن التّرابط الوثيق بين الآيتين الكريمتين.

وما هو صمام الأمان الّذي يضمن للمؤمنين بإذن الله تعالى عدم الإفراط أو التّورّط في تحريم ما أحل الله تعالى من ناحية، وعدم التفريط أو التّورّط في إحلال ما حرّم الله تعالى من ناحية أخرى، وهو ما عبّر عنه بالاعتداء؟ إنّه التّقوى، الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. ولمّا كان الوصول إلى مرتبة التّقوى أو درجة الإحسان يشترط الإيمان فقد نصّ الشطر الثاني من الآية الكريمة على التّقوى وعلى صفة الإيمان. قال تعالى: ﴿واتّقوا الله الّذي أنتم به مؤمنون﴾، إنّ هذه الجزئيّة الكريمة تأمر الّذين يؤمنون بالله تعالى ربّاً بأن يرتقوا إلى رفيع الدّرجات وأن يسموا إلى مرتبة التّقوى الوجه الآخر للإحسان.

عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم﴾، في القوم الّذين كانوا حرّموا النّساء واللّحم على أنفسهم

قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لا يؤاخذكم الله باللَّغو في أيمانكم﴾[1].

## الآية رقم (٨٩)

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

تقرّر الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذنا باللَّغو من أيماننا ولا يعاقبنا على قولنا في الكلام من غير قصد: لا والله وبلى والله[2]، واللَّغو من الكلام ما لا يُعْتَدُّ به وهو الّذي يورَدُ لا عن رويّةٍ وفكرٍ فَيَجْرِيَ مَجْرى اللَّغا وهو صوت العصافير ونحوِها من الطيورِ[3]، قالت عائشة: لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه[4]، ولكن يؤاخذنا الله سبحانه وتعالى بما عقّدنا الأيمان وصمّمنا عليه منها وقصدناها[5]، وأكّدناها وردّدناها[6]، وشدّدناها[7]، وقرىء عقدتم وعقّدتم وعاقدتم[8]، قال أبو

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٠)؛ وانظر أسباب النزول (٢٣٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).

(٣) مفردات الرَّاغب الأصفهانيّ «لغا» (٤٥١).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ١١).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).

(٦) تفسير الطبري (٧/ ١١).

(٧) تفسير ابن عطية (٥/ ١٥).

(٨) تفسير ابن عطيّة (٥/ ١٥)؛ والجلالين.

علي[1]: من شدّد القاف احتمل أمرين: أحدهما أن يكون لتكثير الفعل لأنّه خاطب جماعة. والآخر أن يكون عقد مثل ضعّف لا يراد به التّكثير، كما أنَّ ضاعف لا يراد به فعلٌ من اثنين[2].

إنَّ جزاء الحِنْث في هذا النوع من اليمين الكفّارة. ويتجلّى فضل الله تعالى على العباد ولطفه جلّ وعلا بهم في وجود الكفّارة أوّلاً وفي مراعاة مصلحة صاحب الكفّارة إذ إنَّها على التّخيير، وفي مراعاة مصلحة من تصل إليه الكفّارة بناءً على مدى قدرة المكفّر، وهذه المصلحة تراعي المسكين والرّقيق. ويتوّج كل ذلك الفضل واللّطف بكون المصلحة المتعدّية هي التي تراعى أوّلاً من إطعام عشرة مساكين من أوسط ما نطعم أهلينا أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فإذا لم يتيسّر تحقيق المصلحة المتعدّية تمَّ التّحوّل إلى المصلحة الذّاتية للمكفّر بأن يصوم ثلاثة أيّام. ومن المعلوم أنَّ الفائدة المباشرة للصيام تعود إلى الصائم. وبشأن الطعام: عن ابن عبّاس قال: كفّر رسول الله ﷺ بصاعٍ من تمر وأمر النّاس به. ومن لم يجد فنصف صاعٍ من بُرّ[3]، وبشأن الكسوة: قال الشافعي رحمه الله: لو دفع إلى كلّ واحدٍ من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مِقنعة[4]، أجزأه ذلك[5]، وبشأن الرّقبة أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال: تجزىء الكافرة كما تجزىء المؤمنة. وقال الشافعي وآخرون لا بدّ أن تكون

---

(١) المراد أبو عليّ الفارسيّ.

(٢) تفسير ابن عطيّة (٥/ ١٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩)؛ وانظر هنالك تخريجه للحديث.

(٤) المِقنعة بكسر الميم: ما تقنّع به المرأةُ رأسها.

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٠).

مؤمنة. وأخذ تقييدها بالإيمان من كفّارة القتل لاتّحاد الموجب وإن اختلف السبب، ومن حديث معاوية بن الحكم السّلميّ الّذي هو في موطّأ مالك ومسند الشافعيّ وصحيح مسلم أنّه ذكر أنّ عليه عتق رقبة وجاء معه بجاريةٍ سوداء فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ قالت: في السّماء. قال: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنّها مؤمنة[1]، ومعنى: «أو تحرير رقبة» أو فكّ عبدٍ من أسر العبودة وذلّها[2]، والتّحرير الفكّ من الأسر. والمحرّر صاحب الرّقبة. لأنّ العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيراً أن تجمع يديه إلى عنقه بقيدٍ أو حبلٍ أو غير ذلك. وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلّتهما ممّا كانتا به مشدودتين إلى الرّقبة. فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير بالخبر عن فكّ يديه عن رقبته وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره كما يقال: قبض فلانٌ يده عن فلانٍ إذا أمسك يده عن نواله، وبسط فيه لسانه إذا قال فيه سوءاً، فيضاف الفعل إلى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله لاستعمال الناس ذلك بينهم وعلمهم بمعنى ذلك. فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره: أو تحرير رقبة. أضيف التّحرير إلى الرقبة وإن لم يكن هنالك غلّ في رقبته ولا شدّ يد إليها وكان المراد بالتّحرير نفس العبد بما وصفنا من جري استعمال النّاس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه[3].

وبشأن صيام الثلاثة الأيام اختلف العلماء: هل يجب فيها التّتابع أو يستحبّ ولا يجب ويجزىء التفريق؟ قولان: أحدهما: لا يجب. وهذا منصوص الشافعي في كتاب الإيمان. وهو قول مالك لإطلاق قوله: فصيام

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٨).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ١٨).

ثلاثة أيّام. وهو صادقٌ على المجموعة والمفرّقة كما في قضاء رمضان لقوله: فعدَّة من أيّامٍ أُخر. ونصّ الشافعي في موضعٍ آخر في الأمّ على وجوب التّتابع كما هو قول الحنفيَّة والحنابلة لأنَّه قد روي عن أبيّ بن كعب وغيره أنَّهم كانوا يقرءونها: فصيام ثلاثة أيّامٍ متتابعات[1].

وقوله: ﴿ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم﴾، أي هذه كفّارة اليمين الشَّرعيَّة[2] إذا حلفتم وحنثتم.

وقوله: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ أمرٌ للمؤمنين بحفظ أيمانهم إن حلفوا ألاَّ يحنثوا إلاَّ إذا كانت اليمين علَّةً مانعةً للبرّ والتَّقوى والإصلاح بين النَّاس. قال تعالى[3]: ﴿ولا تجعلوا الله عُرْضَةً لأيْمانِكم أن تبرّوا وتتَّقوا وتُصْلِحوا بين النَّاس. والله سميعٌ عليم﴾، وإن حنثوا أن يكفّروا. قال ابن جرير: معناه لا تتركوها بغير تكفير[4].

وقوله: ﴿كذلك يبيِّن الله لكم آياته لعلَّكم تشكرون﴾، كما بيَّن لكم كفّارة أيمانكم كذلك يبيِّن الله لكم جميع آياته، يعني أعلام دينه فيوضّحها لكم لئلاَّ يقول المضيّع المفرّط فيما ألزمه الله لم أعلم حكم الله في ذلك[5]، ولعلَّنا نشكر لله تعالى هدايتنا لمعالم دينه ورحمته ولطفه بنا جلّ وعلا. ومن البيِّن وجه الشَّبه بين الآية الكريمة وبين الآية الكريمة الخامسة والعشرين بعد المائتين من سورة البقرة. قال تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفورٌ حليم﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١)؛ وتفسير الطبري (٧/ ٢١).

(٥) تفسير الطبري (٧/ ٢١).

# -١٣-

# الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس

## الآيات (٩٠ - ٩٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

نهى السياق من ذي قبل الّذين آمنوا عن تحريم ما أحلّ الله تعالى وإحلال ما حرَّم الله تعالى وأمرهم بالطَّريق الوسط: وممّا له علاقةٌ بإحلال ما حرَّم الله تعالى عدم اجتناب الرّجس من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ومخالفة أمره جلّ وعلا بشأنها وقد أمر جلّ وعلا باجتنابها لعلّ المؤمنين يفلحون ويفوزون بجنّات النَّعيم. ويقرّر السياق أنَّ الشّيطان الرَّجيم يريد أن يوقع ويحقّق العداوة والبغضاء بيننا في الخمر والميسر ويريد أن يصدّنا عن ذكر الله تعالى وعن الصَّلاة فعلينا نحن المؤمنين الانتهاء عن الخمر والميسر. وقد راعنا في نظم الآية الكريمة تقديم العداوة والخمر لشدَّة الارتباط بينهما وربّما لحق بذلك صدّ الشّيطان الرجيم عن ذكر الله تعالى. كما راعنا تأخير البغضاء والميسر لشدَّة الارتباط بينهما وربّما لحق بذلك صدّ الشّيطان الرجيم عن الصَّلاة. ولمّا كان عصيان الشّيطان الرجيم يعني طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ فقد أمر السياق بذلك وبالحذر من

المخالفة وبالعلم بأنَّ على الرسول ﷺ البلاغ فقط. ولمّا كان من المؤمنين من كان يشرب الخمر ومات قبل أن تحرّم تحريماً نهائيّاً فقد كان ثمة تقريرٌ بأنّه لا حرج على أولئك الّذين طعموا الخمر وماتوا قبل أن ينزل القرآن الكريم بتحريمها النّهائي، وبأنَّ على الّذين آمنوا أن يعملوا الصالحات ويتّقوا الله تعالى في السّرّ والعلن ومن ذلك عدم شرب الخمر بعد تحريمها، وأن يؤمنوا ويتّقوا وأن يؤمنوا ويحسنوا فإنَّ الله تعالى يحبّ المحسنين.

• • •

## الآية رقم (٩٠)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

تنادي الآية الكريمة الّذين آمنوا لأنّهم يمثّلون الثمرة اليانعة لمنهج التّربية القرآنية الحكيم فهم المنتفعون بهذه التّعاليم، وتبيّن الرّجس بمعنى الخبيث المستقذر[١]، وبمعنى الإثم والنتن[٢]، الّذي هو من عمل الشّيطان لأنّه يزيّنه ويغري الإنسان بارتكابه. والآية الكريمة تذكر أهم معالم الرّجس وتحصرها في أربعة وهي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. أمّا الخمر فهي كل مسكرٍ خامر العقل بمعنى غطّاه[٣]، والميسر: عن ابن عباس قال: الميسِر هو القِمار[٤] والأنصاب، جمع النُّصُب بضمّتين والنُّصْب بضمّ النون وسكون الصاد، حجارةٌ كانت حول الكعبة تُنْصَب فيُهَلُّ عليها ويُذْبَحُ لغير الله تعالى[٥]، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائةٍ وستّون نُصُباً كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢١).

(٣) الجلالين؛ وتفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١).

(٥) القاموس المحيط: «نصب»؛ وتفسير الطبري (٢٠٥٤).

الذبائح ويشرّحون[1]، اللّحم ويضعونه على النُّصب[2]، والأزلام واحدها زَلَم محرّكة وكصُرَد[3]، وهي القِداح[4]، والقِداح جمع القِدح بالكسر وهو السَّهم قبل أن يراش ويُنْصَل[5]، أي قبل أن يصير سهماً بتركيب الريش الّذي يوجّهه حينما يُرْسل، وتركيب النّصل بمعنى الحديدة التي تنفذ في الهدف. وسبق أن جاء في الآية الكريمة الثالثة من السورة الكريمة في مجال المحرّمات قوله تعالى: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾، والمعنى: وحرّم عليكم أيّها المؤمنون أن تطلبوا عِلْم ما قُسِمَ لكم أو لم يُقْسَم بالأزلام، وهو استفعلت من القَسْم قسم الرّزق والحاجات[6]، وقد كانت العرب في جاهليّتها يتعاطون ذلك وهي عبارةٌ عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب افعل وعلى الآخر لا تفعل والثالث غُفْل ليس عليه شيء[7]، وقد أبدل الله تعالى المؤمنين بالاستقسام بالأزلام الاستخارة التي كان المصطفى ﷺ يعلّمها أصحابه رضوان الله تعالى عليهم كما يعلّمهم السّورة من القرآن[8].

والمعروف أنَّ الآية الكريمة تمثّل المرحلة الأخيرة من مراحل تحريم

---

(١) يشرّحون اللّحم: يرقّقونه.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١١).

(٣) القاموس المحيط: «زلم»؛ وتفسير الطبري (٦/ ٤٩)؛ وتفسير القرطبي (٢٠٥٥).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٤٩).

(٥) القاموس: «قدح».

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٤٩)؛ وتفسير ابن كثير (٢/ ١١).

(٧) تفسير ابن كثير (٢/ ١١).

(٨) انظر كيفية الاستخارة في تفسير ابن كثير (٢/ ١٢)؛ وفيما اقتبسناه في أثناء تفسير الآية الكريمة الثالثة من السورة الكريمة.

الإسلام الخمر[1]، جاء ردّاً على السؤال عن الخمر والميسر الجواب بأنَّ فيهما إثماً كبيراً ومنافع للنَّاس وإثمهما أكبر من نفعهما. قال تعالى[2]: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للنَّاس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، ثمّ جاء بعد ذلك نهي المسلمين عن القرب من الصَّلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون وبذلك انحصر شربهم بها في بعض الأوقات. قال تعالى[3]: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تقربوا الصَّلاة وأنتم سُكَارَى حتى تعلموا ما تقولون...﴾ الآية. ثمّ نزلت أخيراً الآيتان الكريمتان من سورة المائدة فما كان من المؤمنين إلاَّ أن قالوا انتهينا يا ربّ[4]، ردّاً على السؤال: ﴿فهل أنتم منتهون﴾؟ بمعنى جملة فعل الأمر: انتهوا. قال تعالى[5]: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إنَّما الخمر والميسِر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون. إنَّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة فهل أنتم منتهون﴾.

ويلاحظ أن الآية الكريمة تأمر باجتناب الرّجس: ﴿فاجتنبوه لعلّكم تفلحون﴾، وإنَّ جملة: «فاجتنبوه» في دلالتها العميقة على تحريم هذه المنكرات تذكّرنا بمعنى الجملة ذاته بشأن الرجس من الأوثان وذلك في

---

(١) درسنا هذه المسألة بإسهاب في كتابنا «تأملات في سورة محمد». (١٢٠) فما بعدها.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٢).

(٥) سورة المائدة: الآيتان ٩٠، ٩١.

قوله تعالى من سور الحجّ[1]: ﴿ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربّه. وأحلّت لكم الأنعام إلاّ ما يُتْلَىٰ عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزّورِ﴾.

لقد تحدَّثت الآية الكريمة عن أربعة أنواعٍ من الرّجس، هي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. ولمّا كان اثنان من الرّجس قد أصبحا بفضل الله تعالى أثراً بعد عين ومضيا كأمس الدّابر وهما الأنصاب والأزلام فقد تحدَّثت الآية الكريمة التالية عن الاثنين من الرّجس الباقيين وهما الخمر والميسر، فإلى:

## الآية رقم (٩١)

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

وممّا يلفت النظر في الآية الكريمة مجيء جملة: «يريد» التي تدلّ على إرادة الشّيطان وعلى تصميمه أن يوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء ويثبتهما ويحقّق متضمَّنهما[2]، ووراء ذلك في الآية الكريمة أكثر من لطيفة. ومن هذه اللطائف أنَّ الآية الكريمة لم تتحدَّث عن الأنصاب والأزلام إنَّما تحدَّثت عن الخمر والميسر مقدّمةً الحديث عن الخمر على الحديث عن الميسر، وفي هذا التّقديم دليلٌ على الواقع المشاهد من كون شرب الخمر والعياذ بالله أكثر من ممارسة القِمار. فهل دليل ترتيب الخمر والميسر هنا يدلّ بدوره على الحكمةِ من ترتيب الآية الكريمة السابقة أنواع الرّجس

---

(١) الآية ٣٠.

(٢) انظر هنا مفردات الرّاغب الأصفهانيّ «وقع» (٥٣٠).

الأربعة وهي كثرة الممارسة خاصّةً وأنَّ الخمر والميسر يجيئان في الموضعين على نسقٍ واحد؟ ربّما. فالله تعالى أعلم بالمراد.

ويفهم من الآية الكريمة أنَّ كلاًّ من الخمر والميسر سببٌ في العداوة والبغضاء. وفي الصدّ عن ذكر الله تعالى وعن الصَّلاة.

ووراء هذا الفهم إحدى اللطائف. إنَّ الآية الكريمة التي تقدّم الخمر في الذّكر وتؤخّر الميسر، تقدّم العداوة في الذّكر وتؤخّر البغضاء ممَّا يصحُّ أن يفهم معه أنَّ العداوة أشدّ ارتباطاً بالخمر وأنَّ البغضاء أشدّ ارتباطاً بالميسر. وتفسير ذلك أنَّ الخمر التي تغطّي العقل مناط التّكليف وأحد الكلّيات التي جاء الدّين لحمايتها تسبّب العداوة لأنَّ المخمور لا يعلم ما يقول بنصّ القرآن الكريم وتبعاً لذلك هو لا يعلم ما يفعل. إنَّ القول والفعل غير المسؤولين من المخمور المعتدي سببان في عداوةٍ لا حدّ لها ولا نهاية. فإذا تحوّلنا إلى المقامر تبيّنّا أنَّ في القمار غالباً ومغلوباً، وأنَّ الغالب اليوم في القِمار مغلوبٌ غداً، وأنَّ المغلوب، في كلّ مرَّةٍ يتمّ فيها اللعب بالقمار، يرى قامره وقاهره وغالبه يذهب بماله دون وجه حقّ ودون سببٍ سوى النّزوة الشّيطانيّة للقِمار. وما هو شعور المقمور المقهور المغلوب وقد رأى ماله يذهب تحت سمعه وبصره إلى قامره وقاهره وغالبه دون أن يبدي أيّ اعتراض وإن أبدى كلّ امتعاض؟ إنَّه البغضاء. والمعروف أنَّ البغضاء تفوق العداوة أسىً ومرارة.

لقد طرحنا سؤالاً، انطلاقاً من تقديم الآية الكريمة ذكر الخمر على الميسر، وذلك بشأن ترتيب الآية الكريمة السابقة أنواع الرّجس الأربعة وفق هذا النّسق: ﴿الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾، وتبيّن ارتباط العداوة الأشدّ بالخمر وارتباط البغضاء الأشدّ بالميسر. فهل في الإمكان الرّبط بين

ذكر الخمر أوّلاً وبين الصدّ عن ذكر الله تعالى؟ وبين ذكر الميسر آخراً وبين الصدّ عن الصَّلاة؟ ربّما. فالله تعالى أعلم بالمراد.

إنَّ الذي يلاحظ بشأن القول: ﴿ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة﴾، هو تكرار حروف الجرّ: «عن» ويصحّ أن تكون الحكمة من هذا التّكرار متعلّقة بالسؤال الّذي لتوّنا طرحنا. ووراء ذلك يتقدَّم في الذّكر ذكر الله تعالى ويأتي ذكر الصَّلاة بعد ذلك. والمعروف أنَّ ذكر الله تعالى هو الشعيرة الوحيدة التي لم يضع الشارع الحكيم نهايةً لها لسهولة الذّكر في كلّ الأوقات وفي كلّ الأحوال. أمَّا الصّلاة فلها أوقاتها المعيَّنة وبسبب اختلاف أحوال المصلّي من أمنٍ وخوف، صحَّةٍ ومرض، استقرار وسفر كانت لها أحوالٌ خاصَّةٌ بها. واللَّطيف في الأمر أنَّ الآيات الكريمات التَّاليات من سورة النساء[1]، تحدَّثت عن الصَّلاة وعن ذكر الله تعالى. قال عزّ من قائل: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تَقْصُرُوا من الصَّلاة إن خفتم أن يفتنكم الّذين كفروا. إنَّ الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً. وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصَّلاة فلتقم طائفةٌ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفةٌ أخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك وليأخذوا حِذْرهم وأسلحتهم. ودّ الّذين كفروا لو تَغْفُلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدة. ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطرٍ أو كنتم مَرْضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم. إنَّ الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً. فإذا قضيتم الصَّلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم. فإذا اطمأننتم فأقيموا الصّلاة. إنَّ الصّلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾. وممّا جاء في ذكر الله تعالى ذكراً كثيراً

---

(١) الآيات ١٠١ ـ ١٠٣.

القول[1]: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبّحوه بكرةً وأصيلاً﴾.

وحينما ــ لا سمح الله ــ لا يذكر المؤمن الله تعالى ذكراً كثيراً ولا يصلّي بسبب صدّ الشّيطان فما هو حال هذا المؤمن وما مآله؟ إنَّ الجواب يستنتج من الآية الكريمة التي تأمر المصطفى ﷺ وكلّ فردٍ من أفراد الأمّة المحمّدية بالصّلاة وبالذّكر. قال تعالى[2]: ﴿أُتل ما أوحِيَ إليك من الكتاب وأقم الصّلاة. إنَّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولذكر الله أكبر. والله يعلم ما تصنعون﴾.

إنَّ واجب المؤمن أن يعصي الشّيطان الرَّجيم. وحينما يعصي الشّيطان الرجيم هو يطيع الله تعالى ويطيع رسوله الكريم. وفي هذه الطّاعة جاءت:

## الآية رقم (٩٢)

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾.

إنَّ أول ما يُلْفِت الانتباه تكرار جملة: «أطيعوا» ممّا يفهم معه أنَّ طاعة الله تعالى يجب أن تكون مطلقة، وأنَّ طاعة الرسول ﷺ يجب أن تكون هي الأخرى مطلقةً، لأنَّ الرسول ما ينطق عن الهوى بنصّ القرآن الكريم. وبعد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ يأتي الأمر بالحذر من عصيان الله تعالى وعصيان رسوله ﷺ، ومن طاعة الشّيطان الرَّجيم البيِّن العداوة للإنسان.

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وبما أنَّ كثيرين يعصون الرَّحمن ويطيعون الشّيطان وهم الّذين أعرضوا وانصرفوا عن دعوة الحق، فإنَّ الآية الكريمة تُعْلِم هؤلاء بأنَّ وظيفة الرسول تقف عند البلاغ ولا تتعدّاه وقد بلَّغ الرسول الرسالة وأدّى الأمانة ولله تعالى الأمر من قبل ومن بعد.

ومن البيِّن مجيء: «إنَّما» التي تفيد الحصر في كلٍّ من الآيات الكريمات الثلاث.

ولمّا كان بعض المؤمنين قد لحق بالرَّفيق الأعلى وهو يشرب الخمر قبل تحريمها تحريماً نهائيّاً، فإنَّ الآية الكريمة تتحدّث في هذا المعنى، فإلى:

## الآية رقم (٩٣)

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

سبب النّزول:

عن أنس بن مالك قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلاَّ الفضيخ[1]، والبُسْرِ[2]، والتَّمر، وإذا منادٍ ينادي ألا إنَّ الخمر قد حرمت. قال: فَجَرَتْ في سكك المدينة. فقال أبو طلحة: اخرج فأَرِقْها. قال: فأرقتها، فقال بعضهم: قُتِل فلانٌ وقُتِلَ فلانٌ وهي في بطونهم. قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ليس على الّذين آمنوا

---

(١) الفضيخ هو الشراب المتخذ من البُسْر المفضوخ، أي المشقوق من غير أن تمسّه النار.

(٢) البُسْر: التّمر إذا لوّن ولم يَنْضَج الواحدة بُسْرة.

وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا. . .﴾ الآية. رواه مسلم[1].

وعن البراء بن عازبٍ، قال: مات أناسٌ من أصحاب النَّبيّ ﷺ وهم يشربون الخمر، فلمّا حرمت قال أناس: كيف لأصحابنا؟ ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا. . .﴾ الآية[2].

إنَّ أوّل ما يلفت النَّظر في الآية الكريمة استعمال جملة: «طعموا» المرنة الدّلالة بحيث إنَّها تتَّسع كي تعني تناول الغِذاء[3]، وتضيق كي تعني الذّوق، فقد قيل في تعريف الذّوق إنَّه وجود الطعم بالفم. وأصله فيما يقلّ تناوله دون مايكثر[4]، كما أنَّها تشمل ما بينهما. يقول الرَّاغب[5]: «قيل: وقد يُسْتَعْمَلُ طعمت في الشّراب كقوله: من شرب منه فليس منّي ومن لم يطعمه فإنَّه منّي. وقال بعضهم: إنَّما قال: ومن لم يطعمه، تنبيهاً أنَّه محظورٌ أن يتناوَلَ إلاَّ غرفةً مع طعام كما أنَّه محظورٌ عليه أن يشربه إلاَّ غرفة. فإنَّ الماء قد يُطْعَم إذا كان مع شيءٍ يُمْضَغ ولو قال: ومن لم يشربه، لكان يقتضي أن يجوزَ تناولُه إذا كان في طعام. فلمّا قال: ومن لم يطعمه، بيَّن أنه لا يجوز تناوله على كلّ حالٍ ألاَّ قَدْرَ المستثني وهو الغرفة باليد».

إنَّ الآية الكريمة تقرّر أنه ليس على الّذين آمنوا بالله تعالى ربّاً وعملوا

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري (٢٤١)؛ وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤)؛ و؛ وتفسير الطبري (٧/ ٢٤).

(٢) أسباب النزول للنيسابوري (٢٤٢).

(٣) انظر مفردات الرَّاغب الأصفهانيّ «طعم» (٣٠٤).

(٤) انظر مفردات الرَّاغب الأصفهانيّ «ذوق» (١٨٢).

(٥) مفردات الرَّاغب الأصفهانيّ «طعم» (٣٠٤).

الصالحات، وبذلك أعطوا الدَّليل العمليّ على صحّة الإيمان، جناحٌ وإثمٌ فيما طعموا من الخمر قبل التحريم تحريماً نهائيّاً إذا ما اتّقوا الله تعالى بعد التَّحريم وراقبوه جلّ وعلا في السّرّ والعلن وآمنوا وعملوا الصَّالحات، ثمّ اتقوا الله تعالى في السّرّ والعلن وآمنوا وعملوا الصالحات، وارتقوا إلى مرتبة الإحسان كما بيَّنها الحديث النَّبويّ الشَّريف بأن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

ومن البيِّن وجوب عمل الصالحات، وهي الدّليل العملي على الإيمان والتَّقوى والإحسان.

وتقرّر الآية الكريمة في القول: ﴿والله يحبّ المحسنين﴾ أنَّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المحسنين الّذين تجاوزوا مرتبتي الإسلام والإيمان كما بيَّنهما الحديث النَّبوي الشريف وارتقوا إلى مرتبة الإحسان، ومن مقوّمات هذه المرتبة الرَّفيعة إحسان النيّة والقول والعمل.

# -١٤-

# صيد البحر حلالٌ للمحرم
# وصيد البر حرام عليه وكفّارته

## الآيات (٩٤-٩٦)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

عناية السورة الكريمة، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم، كبيرةٌ بالأحكام. ومن هذه الأحكام إحلال الطيّب من الطّعام وتحريم الخبيث منه. وإنَّ آيات هذا القسم ثلاث تتعلَّق بصيد البرّ الحرام على المحرم وكفّارته، وبصيد البحر الحلال للمحرم، ومن باب الأولى غير المحرم. إنَّ الآية الكريمة الأولى تنادي المؤمنين وتقول لهم: إنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يختبركم وأنتم محرمون في الحديبية وفي غير الحديبية بشيءٍ من الصّيد تنال أيديكم صغاره وفراخه، وتنال رماحكم كباره. إنَّ هذا الاختبار ليعلم جلّ وعلا علم ظهورٍ من يخافه سبحانه وتعالى بالغيب، وإنَّ من اعتدى بعد ذلك النَّهي عنه فاصطاده فله عذابٌ أليم. وإنَّ الآية الكريمة الثانية تنادي المؤمنين أيضاً وتنهاهم عن قتل صيد البرّ وهم محرمون بحجّ أو بعمرة. وتبيِّن الآية الكريمة أنَّ من قتل الصّيد متعمّداً، ذاكراً أنَّه محرم أو ناسياً، فعليه جزاءٌ مثل ما قتل من النَّعَم يحكم بذلك المِثْل شخصان ذوا

عدلٍ من المؤمنين هدياً واصلاً إلى الحرم بأن يذبح هنالك ويفرّق لحمه على المساكين، أو عليه كفّارةٌ طعام مساكين، أو عليه عدل ذلك ومثل ذلك صياماً ليذوق عقوبة ذنبه. وتقرّر الآية الكريمة أنَّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عمّا سلف من قتل المحرم صيد البرّ قبل التّحريم، أمّا من عاد إلى قتل صيد البرّ وهو محرمٌ فإنَّ الله سبحانه وتعالى العزيز ذا الانتقام سوف ينتقم منه. وإنَّ الآية الكريمة الثالثة والأخيرة تقرّر أنَّ الله سبحانه وتعالى أحلّ لنا ونحن محرمون صيد البحر وطعامه وهو ما لفظه ميتاً سواء كنّا مقيمين أو مسافرين وحرَّم علينا جلّ وعلا صيد البرّ ما دمنا محرمين. وفي التّذييل تأمرنا الآية الكريمة بأن نتّقي الله تعالى الذي نُحْشَر إليه ونُجْمَع بين يديه لفصل الحساب.

## الآية رقم (٩٤)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

تذكّرنا الآية الكريمة بالآية الكريمة من سورة الأعراف التي تتحدَّث عن ابتلاء الله تعالى أصحاب قرية أَيْلة على البحر الأحمر من بني إسرائيل الذين خالفوا أمر الله تعالى فاصطادوا السمك يوم السبت وباعوه وأكلوه. لقد تمثَّل ابتلاء الله تعالى بني إسرائيل بأن جعل السمك يتحرّش ببني إسرائيل يوم السَّبت ليعلم جلّ وعلا من يخافه بالغيب وفي غير يوم السبت يغيب السمك! قال تعالى[1]: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السَّبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً ويوم لا يَسْبِتون لا تأتيهم. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾.

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً وبالقرآن الكريم دستوراً، وتخبرهم في أسلوب القَسَم بأنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يبتليهم ويختبرهم. ومتى يكون هذا الاختبار وكيف يتمّ هذا الابتلاء؟ يكون هذا الاختبار حينما يكونون محرمين بحجّ أو عمرة، مسافرين في البرّ، فيرسل الله تعالى عليهم بقصد اختبار تقواهم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦٣.

شيئاً من صيد البرّ يتحرّش بهم ويتعرض لهم ويقترب منهم ويدنو إليهم ويغشاهم في رحالهم. إنَّ صغار الصّيد وفراخه يستطيعون أن ينالوه مسكاً بالأيدي وإنَّ كبار الصّيد كالظباء وبقر الوحش وحمره يستطيعون أن ينالوه برماحهم. والمعروف أنَّ أقرب وسيلةٍ يستعملها الصَّائد في البرّ هي الرّمح في حال قرب الصَّيد. ولا مجال لاستعمال أيّ وسيلةٍ قبل هذه الوسيلة بمعنى أنَّه لا مكان لاستعمال السيف مثلاً وما في حكمه في حال الصّيد وإن كان في حال القتال هو الوسيلة الأقرب من كلّ وسيلة والأدلّ على التَّمكن من الخصم. وهكذا يتبيَّن أنَّه بشأن صغار الصَّيد لا توجد وسيلةٌ أقرب من الأيدي لتناوله، وبشأن كبار الصَّيد لا توجد وسيلةٌ أقرب من الرماح لتناوله، وليس وراء هذا الاختبار من الله تعالى للمحرم المسافر برّاً اختبار من أجل أن يعلم الله سبحانه وتعالى علم ظهورٍ من يخافه جلّ وعلا بالغيب.

ويلاحظ أنَّ الآية الكريمة تستعمل جملة «يخاف» في القول: ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾، وليس جملة: «يخشى» مثلاً. ولمّا كانت الخشية في حقّ الذات العلية مزيجاً من خوف العبد بارئه جلّ وعلا وتعظيمه جلّ وعلا[1]، وكان الخوف القاعدة التي يقوم عليها التعظيم وكان الإنسان المحرم محلّ اختبارٍ بشأن الأوّليّات والأساسيات، وموضع امتحانٍ بحقّ الأصول والقواعد لكلّ ذلك جاءت جملة: «يخاف» تنبيهاً على تلك الأوّليات والقواعد.

أما وقد أعلم ربّ العزَّة عبده المحرم بحجّ أو عمرة، المسافر برّاً، بأنَّ صيد البرّ حرامٌ عليه، وأعلن ربّ العزة أنَّه يبتلي عبده المحرم بشيءٍ من

---

(١) انظر مثلاً مفردات الرّاغب الأصفهانيّ «خشي» (١٤٩).

الصّيد يغشاه في رحله للدَّرجة التي يكاد يمسكه معها بكلتا يديه فقد ختمت الآية الكريمة بالقول: ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم﴾، والمعنى أنَّ من اعتدى من المحرمين بالصّيد في البرّ بعد ذلك الإعلام والإنذار[1]، من الله تعالى فله عذابٌ أليم في الآخرة إن لم يكفّر ولم يتب إلى الله تعالى توبةً نصوحاً ويصحّ أن يسبق عذابَ الآخرة عذابٌ في الدّنيا.

وبعد النَّهي غير المباشر في الآية الكريمة عن صيد البرّ يجيء في الآية الكريمة التّالية النَّهي المباشر وبيان الكفّارة والتّهديد بالانتقام من العائد إلى الصَّيد بعد العلم والكفّارة، فإلى:

## الآية رقم (٩٥)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا كسابقتها وتنهاهم بصريح اللفظ أن يقتلوا صيد البرّ وهم حرم، أي وهم محرمون بحجّ أو عمرة. والحُرُم جمع حرام، والذّكر والأنثى فيه بلفظٍ واحد. تقول: هذا رجل حرام وهذه امرأةٌ حرام. فإذا قيل محرم قيل للمرأة محرمة. والإحرام هو الدّخول فيه. يقال: أحرم القوم إذا دخلوا في الشّهر الحرام أو في الحرم[2]، وتقرّر الآية الكريمة أنَّ من قتل من المحرمين بحجٍّ أو بعمرةٍ صيد البرّ متعمّداً، ذاكراً لإحرامه

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٦).